كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر للمؤرخ بدر الدين العيني – دراسة في النقد التاريخي –

أ.د– فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط– كلية التربية

المقدمة

شهد العصر المملوكي في مصر والشام ٦٤٨–٩٢٣هـ ظهور الكثير من المؤرخين الذين ألفوا في العديد من فروع الكتابة التاريخية ، ويعد القرن التاسع الهجري بمثابة العصر الذهبي للتدوين التاريخي في مصر ، إذ برز فيه كبار المؤرخين من أمثال القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، وتقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) وشمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ) ولكل من هؤلاء مساهمات قيمة في التاريخ .

لكن التأليف في سير الحكام خلال هذه الحقبة شكل أمراً لافتاً ، فعلى الرغم من أن هذا الحقل التاريخي ظهر قبل العصر المملوكي بقرون ، إلا انه مثل نقطة تحول أضرت بالسمعة العلمية لبعض مؤرخي هذا العصر الذين كتبوا فيه ، إذ أن عددا منهم قفز على أهم شروط الكتابة التاريخية المتمثل في الحيادية وعدم التحيز والتمسك بالأمانة العلمية ، وراحوا يدونون لبعض السلاطين المعاصرين لهم سجايا وصفات وانجازات لا وجود لمعظمها على أرض الواقع .

وهو أمر نجد له تفسيراً في محاولة هؤلاء المؤرخين التزلف للسلطة القائمة بغية الحصول على مكاسب دنيوية ، وهناك من اشترك مع أقطاب السلطة بمشتركات سياسية أو مذهبية ، وخير من يمثل هذا الاتجاه السلبي هو المؤرخ بدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ)، فهو على الرغم من مكانة بعض مؤلفاته التاريخية الأخرى ، ومنها كتابه التاريخي الكبير (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) ، إلا انه اضر بمكانته كمؤرخ من خلال عدد من المؤلفات التي كرسها لتسجيل أخبار ملفقة ومعلومات لا يقبلها العقل ولا المنطق خصت بعض السلاطين المماليك الذين عاصرهم ، وسنتناول في هذا البحث أحد مؤلفاته في هذا المجال ألا وهو كتاب

(الروض الزاهر في سير الملك الظاهر ططر) ، فالكتاب ومن خلال التمعن في العنوان الذي اختاره المؤلف منحاز بالكامل لصالح السلطان المملوكي الظاهر ططر (ت٨٢٤هـ) ، وسنحاول من خلال نقد النصوص الواردة فيه وتحليلها أن نبين أن هذا المؤرخ جانب الصواب وتجاوز الشروط الواجب الالتزام بها عند المؤرخين ، ولم يكن حيادياً ولا أميناً فيما كتب ، فكيف فعل ذلك ؟ ولماذا؟.

المبحث الأول : التعريف بالمؤرخ والسلطان

أولا : التعريف بالمؤرخ العيني

هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينتابي الأصل والمولد والنشأة القاهري الدار والوفاة والحنفي المذهب[٢]. ذكر تلميذه ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، انه سأل شيخه العيني عن مولده فأجابه انه في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٦٢هـ[٣]. نشأ بمدينة عينتاب وحفظ القرآن الكريم وتفقه على أبيه الذي كان قاضياً للمدينة فلما توفى والده ، سنة ٧٨٤هـ ، رحل هو إلى مدينة حلب ثم إلى بيت المقدس وفي هاتين المدينتين التقى بعدد من الشيوخ ومنهم علاء الدين أحمد بن محمد السيرامي الحنفي شيخ المدرسة الظاهرية بالقاهرة الذي قام هو الآخر بزيارة بيت المقدس ، وعندما عاد إلى العاصمة المملوكية استقدم معه بدر الدين العيني وذلك سنة ٧٨٨هـ[٤] ، وانزله في تلك المدرسة كأحد الصوفية ، ثم عين خادماً بها ، ولكنه في سنة ٧٩٠هـ طرده الأمير جركس الخليلي منها على وجه شنيع ، وكان السبب وراء ذلك حسب قول المقريزي ((أمور أتهم بها والله أعلم))[٥].

وقرر ذلك الأمير نفيه إلى خارج القاهرة ، ولكن الفقيه سراج الدين البلقيني تدخل فشفع له عند ذلك الأمير فترك نفيه[٦]. وهذا العفو كان له اثر كبير على حياة العيني المستقبلية بما غيرها تماماً لصالحه ، لاسيما بعد أن أخذ يتقرب من مراكز القوى السياسية وأقطاب السلطة ، حتى تمكن من بناء علاقات وطيدة مع عدد من الأمراء و السلاطين المعاصرين مهدت له أن يتسنم مناصب عدة منها ما هو رفيع جداً وعلى حد وصف ابن تغري بردي ، فإن العيني كان محظوظاً عند الملوك[٧]. ففي بداية الأمر اتصل بالأمير جكم بن عوض أحد المماليك التابعين للسلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ) ، فلما مات ذلك السلطان سنة ٨٠١هـ ، تغيرت مواقع الأمراء ومراكز نفوذهم وأصبح جكم احد مشاهير الأمراء في الوضع السياسي الجديد ، لذا تحدث مع كبير الأمراء المسمى أيتمش متوسطاً للعيني من اجل إسناد منصب

الحسبة له ، أتم له ذلك ، وبهذه الطريقة احتل العيني أول منصب كبير في حياته الرسمية[٨] , وهي طريقة لا يقرها بعض كبار العلماء من المعاصرين للعيني مثل : المقريزي وابن حجر العسقلاني اللذين أشكلا عليه تقربه الوثيق من السلطة .

إن علاقته بالسلاطين المماليك لم تقتصر على السلطان الظاهر ططر ، بل كانت له علاقات مع سلاطين آخرين ، غير أن تلك العلاقة وصلت إلى أفضل ما وصلت إليه في عهود السلاطين المؤيد الشيخ (٨١٥-٨٢٤هـ) ، والظاهر ططر (ت٨٢٤هـ) ، والأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ) ، ولذا لا عجب حينما نجده يؤرخ سيرة منفردة لكل من هؤلاء الثلاثة دون سواهم من سلاطين المماليك[٩]. الأمر الذي يؤكد ما طرحناه من آراء في هذه الدراسة حول شخصية العيني بوصفه مؤرخاً متزلفاً للسلطة .

ففي عهد السلطان المؤيد عين محتسباً لعاصمة المماليك القاهرة[١٠] . ثم عزله عنها وعينه ناظراً للأحباس[١١] ، وفي أواخر عهده كلفه السلطان بالتوجه إلى قونية عاصمة الدولة القرمانية ، فالتقى بحاكمها بوصفه سفيراً عن السلطان المملوكي ، ونجح العيني بمهمته هذه ، الأمر الذي دفع بالسلطان أن يسمح له بالدخول إلى قصره أربعة أيام دون وسيط[١٢].

أما علاقته بالسلطان ططر فقد كانت حميمة ، فضلاً عن كونها قديمة تعود إلى أيام كان ططر أميراً ، وقد أكد العيني ذلك غير مرة ، منها قوله ((إن من جملة منن الله تعالى علي إني كنت رزقت التمثل بين يدي هذا الملك من قديم الزمان والتحلي بصحبته المنيفة قبل هذا الأوان))[١٣] . وقوله أيضاً : ((ولقد صحبته سنين عديدة وجالسته مجالس كثيرة...))[١٤]. وحين تسلم الظاهر أمر السلطنة ، أسرع العيني بكتابة سيرته تحت عنوان جذاب (الروض الزاهر) ، أملا في الحصول على مكاسب وظيفية ، وهو أمر أوضحه العيني ذاته في مقدمة كتابه المذكور[١٥]. لكنه لم يحقق مبتغاه إذ سرعان ما مات سيده ططر.

وفي عهد الأشرف برسباي تولى ثلاثة مناصب في آن واحد وهي قاضي قضاة الحنفية، وحسبة القاهرة وناظر الأحباس[١٦] . وتعد من أهم الوظائف غير العسكرية في دولة المماليك . وفيما يتعلق بمنصب قاضي القضاة ، فقد أشار احد المؤرخين المعاصرين له انه تولاه بسبب قربه من السلطان وخصوصيته به[١٧]. ومما يرسخ هذا الاعتقاد ويؤكده أن السلطان برسباي اتخذ من العيني مؤرخاً شخصياً له أو ما يمكن أن نطلق عليه صفة المستشار التاريخي إذ كان يقرأ له التاريخ باللغة العربية ، ثم يترجمه إلى اللغة التركية[١٨]. الأمر الذي دفع احد الباحثين أن ينعت العيني بـ((المؤرخ الرسمي للدولة وفي عهد السلطان برسباي))[١٩].

والواقع ليس لنا اعتراض على علاقات بدر الدين العيني التي ربطته مع سلاطين المماليك ، ولا على كتابته لسيرهم بعنوانات تثير الانتباه والتعجب ، لكن أن يحتوي مضمونها خلاف ما حدث على أرض الواقع ، وبأسلوب منمق متزلف موقوف على التمجيد والتبجيل ، فان هذا هو الذي نؤاخذه عليه ، إذ انه خالف فيه أهم شروط الكتابة التاريخية ولاسيما تلك الشروط التي سجلها المؤرخون المصريون في عصر المماليك وفي مقدمتهم المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي الذي أوجب على المؤرخ اجتناب المبالغة ، ناقلا عن الإمام الشافعي قوله : ((ما رفعت أحد فوق أحد إلا وإتضع من قدري عنده بقدر ما رفعته به أو أزيد))[٢٠].

كما أشار السخاوي أن على المؤرخ عدم مدح الأشخاص حتى وان كانوا من أقربائه ويورد عدد من الأمثلة عن علماء تركوا هذا المدح وأكد أن المؤرخ المداح المداهن لا يلتفت إلى الورع ، بل يخشى منه أن يخرج مساوئ الكبير وهناته بهيئة المدح والمكارم[٢١].

وفضلاً عن ذلك تولى العيني التدريس في الجامع المؤيدي المنسوب للأمير الذي بناه وهو السلطان المؤيد شيخ ، وكان ذلك أيضاً لعلاقته الوطيدة بالسلطان ، حتى أن الأخير أرسل العيني رسولاً من قبله إلى بلاد الروم[٢٢]. وتستمر علاقات العيني بمركز السلطنة المملوكية مع جميع السلاطين الذين عاصرهم في حياته التي قضاها

في القاهرة باستثناء السلطان الظاهر جقمق الذي عزله عن القضاء سنة ٨٤٢هـ ، فلزم داره منصرفاً إلى التأليف[٢٣] ، وقد ذكرت المصادر العديد من مؤلفاته نذكر منها : المؤلفات التاريخية وهي : تاريخ الأكاسرة وهو باللغة التركية ، تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر، الجواهر السنية في الدولة المؤيدية ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، سيرة الأشرف برسباي ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، طبقات الحنفية ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، كشف اللثام عن سيرة ابن هشام، معجم الشيوخ ، مختصر تاريخ دمشق ، مختصر وفيات الأعيان[٢٤].

وما يثير التساؤل أن تلميذه ابن تغري بردي أحصى لشيخه تسعة وعشرين مؤلفاً غير أنه لم يذكر من بينها كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر[٢٥]. وكأنه كان على دراية بمحتواه فلم يكن راض عنه والله اعلم .

ومن مؤلفاته منظومة شعرية للسلطان الملك المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ) ، فاطلع عليها ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، فوجد فيها أربعمائة بيت ركيك غير موزون ، فجمعها في كتاب سماه((قذى العين من نظم غراب البين))[٢٦].وهو نقد لاذع كما يبدو ذلك جلياً من العنوان الذي اختاره ابن حجر لكتابه النقدي هذا .

توفى العيني في ليلة الثلاثاء رابع شهر ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ[٢٧].

ثانيا: التعريف بالسلطان الظاهر ططر.

ططر بن عبد الله الظاهري ، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ، وهو السلطان الثلاثون من سلاطين المماليك والسادس من سلاطين الدولة الشركسية[٢٨]. كان بداية أمره مملوكاً من مماليك السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ) واليه نسب ، وأصبح أميراً في عهد السلطان الملك المؤيد شيخ ، واخذ يتدرج في المراتب بين الأمراء في عهد هذا السلطان ، فمن أمير طبلخاناه[٢٩]. إلى رأس نوبة النوب[٣٠]. ثم أمير مجلس [٣١]. ثم أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية[٣٢]. وجعله السلطان ذاته نائباً عنه في القاهرة عند غيبته عنها سنة ٨١٨هـ عندما ذهب لقتال احد الخارجين عنه في بلاد الشام[٣٣]. مما يعني أن بزوغ نجم ططر على المسرح السياسي في دولة

المماليك كان على عهد السلطان المؤيد شيخ ، فهل حفظ له ططر ذلك الصنيع أم لا ؟ هذا ما ستخبرنا عنه الصفحات التالية .

وحينما مرض المؤيد جعل ططر وصياً على ابنه الصغير الذي نصب سلطاناً بعد وفاة أبيه تحت لقب المظفر أحمد ، وأقسم أمام السلطان على حماية السلطان الجديد والعمل تحت حكمه ، لكنه سرعان ما حنث بقسمه وعزل السلطان المظفر[٣٤] . وسيحل بابن ططر المصير ذاته بعد وفاة أبيه ، وقد عبر المؤرخ ابن العماد الحنبلي عن ذلك حينما أشار إلى مرض ططر الذي توفى به ، فأوصى بالسلطنة إلى ابنه الرضيع فقال ((وحلف الأمراء على ذلك كما حلف هو – أي ططر – غير مرة لابن الملك المؤيد))[٣٥].وسنتطرق إلى أساليب السلطان ططر التعسفية التي أنتهجها في الوصول للسلطنة وذلك في نقدنا لكتاب الروض الزاهر في الصفحات الآتية.

لقد أختلف المؤرخون في تقييم شخصية السلطان ططر وعهده القصير الذي تجاوز ثلاثة أشهر بأربعة أيام فقط ، فكانوا بين مادح وقادح ، وهناك من أعطى تقييماً موضوعياً له ، مثل المقريزي وابن تغري بردي ، أما العيني فقد مال كل الميل إلى جانب ططر مدافعاً عنه أمام أعدائه الموجودين والمفترضين ، الآنيين والمستقبليين ، كما يبدو ذلك واضحاً من خلال قراءة كتاب الروض الزاهر.

وفي الأيام الأولى من حكمه قام ططر بخطوة قصد من ورائها استمالة نفوس الناس إلى جانبه كي يتمكن من تثبيت أركان حكمه ، لاسيما وأنه قام للتو بالانقلاب على السلطان الشرعي بطريقة تعسفية ، وتلك الخطوة تمثلت بمنعه تعيين محتسب دمشق مقابل مال وطلب من الناس رجم المحتسب إن أخذ منهم الأتاوات وعين محتسباً بلا رشوة[٣٦]. والسبب في ذلك أن الفساد الإداري كان مستشرياً في الدولة المملوكية منذ عقود سبقت عهد ططر . ومنع أخذ الضرائب من فلاحي القدس[٣٧]، وهاتان الخطوتان على الرغم من أنهما ايجابيتان ، لكنهما صغيرتا الحجم قليلتا الأهمية ، وقد حملهما بعض المؤرخين أكثر مما يجب ، فقد قال ابن إياس حينما أشار إلى هاتين الحادثتين أن السلطان ططر((أظهر العدل في الرعية))[٣٨].

ولم يشر المقريزي (ت٨٤٥هـ) ، وهو معاصر لططر إلى صفة العدالة التي أشار إليها ابن إياس وابن تغري بردي حيث قال في ططر ، أنه ((كان يميل إلى التدين وفيه لين وإغضاء وكرم مع طيش وخفة... ولم تطل أيامه حتى تشكر أفعاله أو تذم))[٣٩].

وقال عنه ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، انه ((كان يحب العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع)) وكما يبدو فان ابن حجر وصف ططر بالسخاء في حين جاءت هذه الخصلة عند غيره من المؤرخين بوصف التبذير والإسراف ، وقال عنه ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، في ترجمة هذا السلطان ((كان عفا لله عنه ، ملكاً عارفاً ، فطناً ... مائلاً إلى العدل ، يحب الفقهاء وأهل العلم ويجلهم... وكان بارعاً في حفظ الشعر باللغة التركية ، وعنده إقدام وجرأة وكرم مفرط مع طيش وخفة))[٤٠].

أما ابن إياس(ت ٩٣٠هـ)، فقد ذكر انه ((كان خيار ملوك الجراكسة ، وكان شجاعاً في الحرب وكان لين الجانب ناظراً إلى الخير ، وكان كريماً على خشداشيته – أي زملائه...))[٤١]. كما أشار ابن إياس إلى إسراف ططر وتبذيره للأموال وتعصبه للمذهب الحنفي[٤٢]. هذا وسنشير إلى جوانب من أخبار شخصية السلطان ططر أثناء الحديث عن كتاب الروض الزاهر .

المبحث الثاني : كتب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهرططر

أولا :عنوان الكتب

ذكر المؤرخ العيني في مقدمة كتابه موضوع الدراسة أن عنوانه هو ((الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر))[٤٣]. لكنه لم يذكر اسم السلطان ، بل اكتفى بلقبه السياسي ليستقيم معه المعنى المسجوع ، ويلاحظ من قراءة العنوان الذي اختاره المؤلف لكتابه أنه جعله لتمجيد ذلك السلطان حصراً وإحصاء لمناقبه دون مثالبه ، فهو حديقة غناء ملأى بالزهور دون الأشواك . وتجدر الإشارة إلى أن العيني لم يكن أول من اختار هذا العنوان ، بل سبقه مؤرخ آخر عاش في عصر دولة المماليك البحرية هو ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ)، الذي ألف سيرة للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦هـ)، تحت عنوان ((الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر))[٤٤]. وهكذا فان العيني كان مقلداً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن المؤرخين تجنبوا اختيار عنوان مكرر باستثناء بعض الحالات النادرة ، مما يشير الى أنه لم يكن بارعاً ، بل عيال على غيره في اختيار هذا العنوان ، مما يؤكد أن الرجل كان في عجلة من أمره بغية كتابة سيرة ططر الذي نصب نفسه سلطانا للتو .

ثانيا : تاريخ تأليف الكتب

لم يذكر العيني صراحة تاريخ تأليف كتابه هذا ، لكن يفهم مما ذكره في مقدمته، أن ذلك كان في الأيام الأولى لتولي ططر السلطنة المملوكية ، لان الأخير كما مر بنا لم يحكم سوى أربع وتسعين يوماً ، فضلا عن أن العيني ذكر في تحليله لحروف اسم السلطان ما نصه : ((اعلم أن اسم مولانا السلطان خلد الله ملكه ثلاثة أحرف)) (٣) وقد أشار في النص التالي إلى كتابة تلك السيرة في أثناء توليه السلطنة كما انه لم يشر فيه إلى مرضه أو وفاته، وانه ألفه على عجل ، إذ قال : ((... ولكني أبديت ذلك بشكل عاجل ، يعقبه أبسط من ذلك في الآجل، على قد مساعدة الوقت والإمكان، لان ذلك يقتضي أمراً بعيداً من الزمان... وفي هذا الوقت رأيت هذا المقدار عزماً علياً وحتماً واجباً مقضياً...))[٤٥].

وعلى الرغم من أن العيني عاش أكثر من ثلاثين عاماً بعد وفاة الظاهر ططر سنة٨٢٤هـ ، إلا انه لم يف بوعده بكتابة سيرة مطولة لسيده السابق ، واغلب الظن أن مرد ذلك إلى انتفاء المصلحة الذاتية التي دفعت ذلك المؤرخ لكتابة السيرة المختصرة التي وصفها مؤلفها بأنها ((تلويح يغني عن التصريح وتلميح يستغني به عن التوضيح))[٤٦].

مما يشير إلى انه أراد أن يكون له قصب السبق في التزلف لذلك الحاكم عن طريق كتابة تلك السيرة الباهرة –كما وصفها–

ثالثا : سبب التأليف

لقد كان العيني في هذا الكتاب حريصاً من أجل الحصول على مكاسب نوعية اعتماداً على علاقته القديمة بططر منذ أن كان أميراً من أمراء المماليك ، ووجد أن تلك المكاسب قد لا تتحقق إلا بتذكير السلطان بتلك العلاقة ، وان أفضل وسيلة لتذكيره وحثه على منحه ما يصبوا إليه وهو تأليف كتاب يسرد فيه سيرة ذلك السلطان مشفوعة بالحسنات والسجايا الطيبات ، موقوفة على الايجابيات دون السلبيات ، فعند شرحه لسبب تأليف الكتاب قال ((ولما جرت العادة بإتحاف الملك إلى من كان يصحبه وهو مختف في الحجاب وتقديمه إياه من كان نائباً عن الباب سيما إذا اظهر استحقاقه لذلك ، وقامت بينة على ذلك أردت تذكير ذلك بتقديم تحفة لحضرته السنية وخدمته البهية، محتويه على بعض سيرته الشريفة وأحوال دولته المنيفة))[٤٧].

ونجد أن العيني ومن اجل أن يحصل على ما يستحقه –حسب اعتقاده– من مكانة في دولة السلطان ، قرر وضع كتاب سجل ما جادت به قريحته وما خطه قلمه من مدح خال من القدح ، وتعديل بلا جرح لسيده ، في خطوة نرى أنها قللت من شأن هذا المؤرخ الذي عده بعض الباحثين احد أشهر ثلاثة مؤرخين توفوا عند منتصف القرن التاسع الهجري وهم فضلاً عنه كلاً من المقريزي (ت ٨٤٥هـ) وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٣هـ) وقد أشار المؤرخ إلى العلاقة التي ربطته بططر قبل أن يتولى السلطنة بسنوات[٤٨].

أن ما نريد أن نؤكده في هذا البحث أن المؤرخ العيني ومن خط خطه من المؤرخين إنما ضربوا عرض الحائط بشروط الكتابة مثل السبكي وابن خلدون والسخاوي ومن أهم تلك الشروط شرط الحيادية وعدم التحيز وقول الحقيقة والتزام الأمانة ، فأين يقف بدر العيني من كل ذلك ، وهل جانب الصواب ؟ وإذا كان كذلك فما الذي دفعه إليه .

وفي موضع آخر علل تأليفه لهذه السيرة لان صاحبها ((ملك أن شاء الله يفتخر به ملوك الأفاق، ويعلو عليهم علو الشمس على النيرات في الإشراق، وينقاد إليه كل مطيع وعاصي، وكل دان وقاصي ويرتفع برايات عدله منار الدين وينتشر بأعلام فضله آيات الحق المبين، ويتنور بإحكامه الزاهرة أغصان الحق والإنصاف وينخمد بجلالة هيبته نار الظلم والاعتساف...))[٤٩].

وها أنت أيها القارئ اللبيب ترى أن هذا المؤرخ انحاز كل الانحياز منذ البداية إلى صف سيده ، ونعتقد جازمين لو أن السلطان ططر قد توفرت فيه كل هذه الصفات حقيقة لما كان بحاجة إلى تلك السيرة التي أضرت به أكثر مما أفادته ، فأي ملك يفتخر بملك آخر قام بخلع سلطان عينه والده وهو رضيع وحل محله ؟ وكيف يسموا على الملوك بهذا العمل ؟ وكيف يكون عادلاً وقد بدأ عهده بحملة لتصفية منافسيه السياسيين من كبار أمراء المماليك –كما سنرى–؟ وأي أحكام عادلة تلك التي ينسبها إليه العيني والمصادر الأخرى لم تذكر له حكماً قضائياً واحداً ؟

رابعا : تقسيم الكتاب

ختم المؤلف مقدمة كتابه بذكر ما احتواه من مادة مقسماً إياه على عشرة فصول وهي : جنس السلطان وأصله ، اسمه وما دلت عليه حروفه ، كنيته ومن تكنى بها من الملوك ، لقبه ومن تلقب به من الملوك ، البشارة في كونه عاشر السلاطين المماليك ، استحقاقه للسلطنة ، أوصافه الجميلة ، وأخيراً تاريخ سلطنته وما دلت عليه[٥٠]. وسنقرأ في تفاصيل هذه العناوين الانحياز الكلي الذي أبداه المؤرخ إلى جانب الظاهر ططر.

خامسا :مصادر العيني في كتابه الروض الزاهر.

على الرغم من أن معظم مادة الكتاب عبارة عن جمل إنشائية سطرها العيني في مدح السلطان ططر، لكنه عضد ذلك أحياناً بمصادر منها ما هو رصين كالقران الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها بعض كتب الأدب ، ومنها مصادر غير معلومة أشار إليها بلا وضوح ، وسنذكر أدناه تلك المصادر. فقد اعتمد القران الكريم في ثلاثة مواضع ، وفي موضعين منها ذكر الآية المقصودة مجتزأة لم يكملها[٥١] . واقتبس أقوال الرسول (ص) سواء أكان ذلك نقلاً مباشراً دون سند كقوله (قال صلى الله عليه وسلم))[٥٢]. و ((قال النبي صلى الله عليه وسلم))[٥٣] و((قال رسول الله))[٥٤]. ونقل من كتب الحديث النبوي الشريف عن طريق مؤلفيها مثل قوله : ((روى مسلم ...))[٥٥] ، و ((روى الترمذي ...))[٥٦]. ونقل من الإنجيل نصا واحداً بعبارة ((وفي الإنجيل ...))[٥٧].

أما النصوص التي نقلها من مؤلفات أو مؤلفين فهي قليلة ومن ذلك قوله ((وفي كتاب كليلة))[٥٨]. أو ((قال الأصمعي...))[٥٩] أو ((روى هشام بن محمد بن السائب الكلبي...))[٦٠]وقوله : ((قال الثعالبي))[٦١] و ((أشار محي الدين في بعض مؤلفاته...))[٦٢].وهناك العديد من النصوص التي لم يوثقها بدقة بل أسندها الى مصادر غير معروفة ولا دقيقة كقوله : ((قال المؤرخون))[٦٣], أو((قال علماء الحرف))[٦٤]أو قوله : ((ذكر بعض أهل الحساب))[٦٥].ونقل أيضاً عن ((بعض الفلاسفة))[٦٦] أو قوله : ((قال بعض الحكماء))[٦٧] أو ((قال آخرون))[٦٨]أو نقله بلفظ ((قال بعضهم))[٦٩]كما نقل عدة نصوص بألفاظ أضعف من ذلك ومنها نقله بلفظ ((وقيل))[٧٠]أو ((ويروى))[٧١].

وهكذا فان مصادره في أعمها الأغلب ضعيفة إذا ما استثنينا القران الكريم وكتب الحديث الصحيحة .

المبحث الثالث : نقد متن الكتاب

أعتمد العيني أسلوباً دفاعياً صرفاً عن السلطان ططر ، أوحى به للقارئ أن هذا الحاكم ليس كغيره من الحكام متخذاً من أسمه ولقبه ونسبه نقاط ارتكاز في دفاعه المزعوم وسنبين ذلك من خلال نقد النصوص الواردة في متن الكتاب .

أولا : نسب السلطان

حاول المؤرخ جاهداً وعبر سلسلة تتبع فيها بداية الخليقة منذ آدم عليه السلام مروراً بالأنبياء عليهم السلام ، مسلطاً الضوء على سيدنا نوح عليه السلام وأبنائه وأحفاده مشيراً إلى العرب وتقسيماتها والأتراك وفصائلهم ومنهم الشركس ، حاول من خلال كل ذلك التأكيد أن أصل السلطان الظاهر ططر من الشراكسة المستأجرين من دولة هرقل وانه من أصل عربي من عرب غسان(٧٢).

وفسر ذلك تفسيراً تاريخياً في أن جبلة بن الأيهم (ت٢٠هـ) لما ارتد عن الإسلام وذهب إلى هرقل الروم وذلك حينما فتح المسلمون إنطاكية سنة ١٧هـ هرب إلى القسطنطينية ومعه جبلة المذكور وبصحبته خمسمائة رجل من قومه العرب الغساسنة فتنتصروا كلهم وأقاموا عندهم إلى أن انقرض ملك القياصرة حيث انحاز هؤلاء إلى جبال الشركس مختلطين بأهلها متزاوجين معهم ، وان ططرا في الأصل من هؤلاء العرب ناقلا هذه المعلومة من مصدر غامض وبلفظ زعم بعض الناس (٢) . وهكذا نجد أن قريحة العيني فاضت ، فاستل قلمه ليختلق لسيده نسباً يميزه عن جميع أبناء جنسه من سلاطين المماليك وهم باتفاق المؤرخين أما أتراك أو شركس وقليل منهم من الروم ، ولم يشر مؤرخ آخر إلى ما ذهب إليه العيني في تفسيره هذا.

ومن أجل إثبات نظريته في نسب السلطان ططر العربي دلل العيني بأدلة لا تصمد أمام القرائن العقلية أو النقلية ، إذ قال المؤرخ أن تشابه الخصال الموجودة لدى العرب والشركس يدل على أنهم من أصل واحد ! ومن تلك الخصال الشجاعة والفروسية والصدمة الأولى في الحرب، والغيرة على النساء وقرى الضيف وإغاثة المستجير، وحدة الخلق، وسرعة الغضب ، وتأصل العداء إذا ما وقع بينهم(٧٣).

والمتمعن في ما ذكره العيني يرى انه حاول جلب أي دليل وان كان ضعيفاً وغير علمي ليثبت ما ذهب إليه ، فما ذكره من سلوكيات وعادات وتقاليد إنما يمكن أن تتشابه بها الأمم والشعوب حتى وان كانت لا تنتمي إلى أرومة واحدة ، فمن الطبيعي أن نجد الفروسية والشجاعة والغيرة وقرى الضيف وإغاثة الملهوف عند الشراكسة لأنهم أتراك والأتراك كما اسماهم الجاحظ ((أعراب العجم)) [٧٤] أي بدوهم . ولما كانوا بهذا الوصف تشابهت بعض خصالهم مع العرب ولاسيما سكان البوادي منهم .

وذكر العيني بعض الخصال الشركسية على أنها خصال ثابتة لدى العرب مثل: الحدة في الخلق، وسرعة الغضب واستحكام العداء إذا ما وقع بينهم والذي يؤدي إلى انقراض المتحاربين لاستمراره دون انقطاع ابد الدهر[٧٥].

وفيما ذكره أعلاه نظر ، لان العرب تقدح حدة الخلق ، أما سرعة الغضب فإذا لم يكن في محله ولسبب وجيه فهو مكروه عند العرب أما الصفة الثالثة ، فالتاريخ العربي قبل الإسلام ، شهد صراعاً دموياً بين القبائل العربية فيما عرف بأيام العرب ، ومن ذلك حرب البسوس وداحس والغبراء وهما من أقوى الحروب بينهم وأشهرها ، ولكنها لم تدم ابد الدهر، ولم تؤدي إلى إبادة جميع المتحاربين كما أورد العيني .

إن الجهد المضني الذي بذله المؤرخ لإثبات النسب العربي للسلطان الظاهر ططر ، كان وراءه هدف رمى إليه العيني ، هو هدف سياسي بلا شك إذ قال : ((ولاشك أنه يطلق على مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه انه من العرب بهذا الاعتبار –أي كونه من الشركس وهؤلاء أصلهم عرب حسب رأيه – فيكون استحقاقه لهذا المنصب الشريف من هذا الوجه أيضاً...))[٧٦]

ثانيا : أسم السلطان .

راح العيني وبهدف تمجيد سيده يثبت تفوقه وقوته من خلال تفسير اسمه وتفكيك حروف ذلك الاسم وبيان معانيه السامية –كما يرى– في محاولة منه للدفاع عن السلطان وحكمه ، وهي محاولة لا تخلوا من ترغيب وترهيب للناس بغية تثبيت سلطة سيده المطلقة، وهو ما يبدو واضحاً من قراءة نص العيني الآتي :

((إعلم أن اسم مولانا السلطان خلد الله ملكه ثلاثة أحرف وهي طاآن وراء مهملات، وفيه لغتان أخروان إحداهما تتر بتاءين موضع الطائين والأخرى تتار بزيادة ألف ، فلنتكلم في هذه الوجوه الثلاثة بما تقتضيه القواعد الحرفية وغيرها ، أما الطآن والألف ، فهما من الحروف النارية ، وأما التاء فهو من الحروف الهوائية ، وأما الراء ، فهو من الحروف الترابية ، والسر في ذلك أن الطاء والألف يدلان على أن كل من عاداه أو عصى عليه أو خرج من طاعته أو أضمر له سوءاً أو نوى له مكراً وخديعة ، فان نارهما تحرقه لقوتهما حتى يتلاشى أمره ويتفرق شمله ، ولا يبقى له ولمن يلوذ به أثر ولا خبر، وأما التاء ، فانه يدل على أن كل من نصح له واخلص في إطاعته ظاهراً أو باطناً تنصب عليه نفحات نسيمة الوسيم وتربيه نسمات بره العظيم ... أما الراء ، فانه يدل على عمارته بلاد رعيته وعلى شمول عدله ... وأما السر في تكرار الحرفين في اسمه ، فانه يدل على امتداد قوته في سعده ، وعدم التخلل في أثنائه من شيء منكد أو مغير...))[٧٧]. أن هذا الموقف يفسر انحياز العيني الكامل إلى صف السلطان ، مستغلاً تفسيرات ساذجة لا نجد لها آذاناً صاغية إلا عند السلطان وحاشيته ، ومن المحتمل أن العيني لم يكن مقتنعاً في ذاته بما طرحه من ترغيب وترهيب اعتماداً على تفكيك حروف اسم السلطان ، لان الرجل كان فقيهاً وأديباً معروفاً في عصره ، ولكنه يخاطب في هذه العبارات السطحية الحاكم وأعوانه الذين لابد وان كانوا يطربون لسماعها ، انطلاقا من رغبتهم في التشبث بالحكم ، فضلاً عن أن ثقافة معظم الطبقة المملوكية الحاكمة كانت ضحلة وتتقبل مثل هذه التفسيرات البسيطة ، فكيف لمؤرخ مثله يقول أن نار حروف اسم السلطان ستحرق من كانت له نية في معارضته ؟!!، كما أن السلطان لم تذكر عنه المصادر قيامه ببناء منشآت عمرانية في البلاد التي حكمها ، فضلاً عن انه لم يكن عادلاً وفقاً لرأي العيني ، إذ يؤيد ذلك ما ورد ذكره عند مؤرخين محايدين عاصروا المؤرخ وسيده .

ولم يكتف المؤلف بذلك ، بل زاد الأمر حينما لجأ إلى الاستعانة بالقرآن الكريم من خلال المقارنة والتشبيه بين ما تكرر فيه من حروف وما جاء في اسم السلطان[٧٨]. مؤكداً أن ذلك

((يدل على ملك عظيم وجاه قوي مع ثبات وطول مدة))[٧٩]. ولو كان ذلك صحيحاً لو جدنا له اثر على ارض الواقع، إذا لم يحصل من ذلك شيء البتة ، فلم يكن ملك ططر عظيماً ولا طالت فترة حكمه ، بل كان من أقصر سلاطين المماليك مدة في السلطنة .

وأضفى العيني صفة القدسية على اسم السلطان ، إذ قال أن حرف الطاء

((موجود في اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم... وفي اسم لوط النبي عليه السلام...وأما الراء ففي اسم الخضر عليه السلام))[٨٠].

ووفقاً لوجهة نظر العيني هذه ، فان كل حاكم وافق اسمه اسم بعض الأنبياء عليهم السلام ، فان ذلك ليس محض مصادفة ، بل انه سر من الإسرار، وان اتفاق الرموز له تأثير عظيم[٨١]. وهو أمر لا يصدق بل من المستحيل

ثالثا : لقب السلطان

وفي حديثه عن لقب (الظاهر) الذي اتخذه سيده ططر قال :

((وهو من الألقاب الحسنة ، من الظهور وهو الغلبة ولا شك أن الله تعالى لما أظهره على الطائفة الفجرة الذين أرادوا أن يفرقوا جمع العساكر الإسلامية ، ويشتتوا شمل المسلمين ونصره عليهم و ولاه على عباده ، ألهمهم أن يلقبوه بالظاهر ، والألقاب تنزل من السماء)) [٨٢]. فهل هناك افتراء أوضح من هذا ؟ . ومن هو ططر حتى ينزل لقبه من السماء ؟ ، لقد جعله العيني بذلك يقف بمصاف الأنبياء وحاشا الله أن يفعل ذلك .

ثم يعطي تفسيراً آخر للقب الظاهر إذ يقول : ((وتلقب الظاهر لان الله تعالى أظهره على أعدائه وأصلح به أحوال المسلمين...))[٨٣].ويسترسل المؤرخ في إضفاء الطابع المقدس على تلقب السلطان بالظاهر إذ قال : ((وهذا لقب عزيز شريف

استنبطوه من قوله تعالى [هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله][٨٤] ، .. ولا شك أن الله تعالى اظهر مولانا السلطان على أعدائه من الذين اضمروا له المكر والسوء وأيده بنصره فأصبح ظاهراً عليهم مالكاً لرقابهم...))[٨٥].

وقد مر بنا كيف قام ططر بإجراءات تعسفية شملت الكثير من الأمراء الذين شك في أنهم يعارضون منهجه في الاستيلاء على السلطة ، إذ عزل وقتل وسجن العديد منهم . ويلاحظ على ما ذكره العيني هذه ا لنصوص وغيرها الارتباك الواضح في تسلسل الأفكار والتناقض وإطلاق الأحكام دون حجج أكيدة ذلك قد يفسر أن المؤرخ كان في عجلة من أمره وهو يؤلف ذلك الكتاب بغية إهداء نسخته الأولى إلى ططر الذي تولى لتوه السلطنة المملوكية ، ولذلك هدف دنيوي تمثل في محاولته الحصول على مكاسب وظيفية .

وكعادته في تفسير كل ما يخص شخص السلطان بما يرفع من شأنه ويمجد سلطته، فان المؤلف تناول اللقب الذي اتخذه ططر وهو الظاهر،مدعياً ((أن الألقاب تنزل من السماء))[٨٦]. ومؤكداً أن ططرا حينما أظهره لله على الفجرة الذين أرادوا تشتيت العساكر الإسلامية ، ولاه الله عباده وألهمهم أن يلقبوه الظاهر[٨٧].

والمؤرخ إنما قصد بالفجرة كما يبدو من سياق المعلومات الواردة عنده ومقارنتها مع ما جاء عند مؤرخين آخرين ، إنما قصد بهم المعارضين لسياسته ولمحاولته الانقلابية الناجحة التي قام بها حينما أزاح السلطان الرضيع المظفر حانثاً بوعوده وقسمه ، مسيطراً على الحكم عن طريق القوة المفرطة في القضاء على من وقف ضد طموحاته السياسية اللا شرعية .

والعيني هنا لم يعترض على هذا السلوك التسلطي ، بل راح يبرره دينياً على اعتبار أن النصر جاء من عند لله تعالى . وهي محاولة لا تنطلي على من له أدنى معرفة ودراية بما كان يمثله بعض المؤرخين المناصرين للسلاطين بوصفهم أقلام في خدمة السلطة القائمة ، ما دامت تغدق عليهم الهبات والمناصب الرفيعة .

وفي موضع آخر من كتابه (الروض الزاهر) أكد المؤرخ أن ططرا إنما تلقب بالظاهر ((لان الله تعالى اظهر على أعدائه ، وأصلح به أحوال المسلمين))[٨٨] وحاشا الله أن يؤيد حاكماً استخدم الأساليب التعسفية والقهرية في الوصول للحكم .

وذكر العيني جميع من تلقب بهذا للقب من حكام المسلمين عبر العصور، سواء أكانوا خلفاء أم سلاطين أم ملوك، بداية من العباسين وانتهاء بالمماليك[٨٩]. غير انه لم يشر إلى مدد حكمهم ليتخذ منها دليلاً على طول حكم ططر أو ما يتمناه أن يكون حكماً مديداً، إلا أن عدداً ممن ذكرهم لم يحكموا إلا مدداً قصيرة مثل الخليفة العباسي الظاهر (٦٢٢-٦٢٣هـ) ، فضلاً عن انه لم يذكر الحكام المتلقبين بالظاهر الذين وصلوا إلى دست السلطة عن طريق المؤامرات والانقلابات ومنهم السلطان الظاهر برقوق الذي أزاح السلطان الصغير الصالح أمير حاج سنة ٧٨٤هـ، والظاهر بيبرس الذي اغتال السلطان قطز بعد تحقيقه لانتصاره الكبير على المغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، بل اكتفى بالقول ان هذا اللقب هو لقب شريف عزيز.

وفي قول مجافي للحقيقة التاريخية ذكر العيني أن الله تعالى الهم عبيده بان لقبوا ططر بالملك الظاهر[٩٠].

رابعا : أخلاق السلطانططر.

حرص المؤرخ العيني على ذكر جملة من الأوصاف الجميلة والأخلاق الحميدة التي تحلى بها ططر –حسب رأيه–، وأكد أن تلك الأوصاف والأخلاق كانت السبب في رفع قدر السلطان عند الله تعالى ومنها : مساعدة الفقراء مادياً ومعنوياً ، والسعي في الخير عند السلطان المؤيد حينما كان ططر مستشاراً له ، وعدم السعي بالشر حتى ضد أعدائه، وحلمه الواسع ، ولأجل هذه الخصال جعله الله تعالى سيداً على قومه –كما يرى العيني–كما تحلى بحسن الخلق ونظافة لسانه عن الكلام الفاحش أو البذيء[٩١].

وهكذا لا نجد أدنى إشارة تخص السجايا السلبية لططر إذ جعله مصاناً وفي منأى عن ذلك تماماً . في حين نقرأ في ترجمته عند مؤرخين آخرين معاصرين له أو قريبين من عصره ما يخالف آراء العيني فيه ، ومنهم المقريزي(ت٨٤٥هـ) ، الذي أكد أن فيه طيش وخفة ، شديد التعصب[٩٢]. وذكر ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، انه على الرغم من قصر فتره حكمه لكنه كان منتقماً جائراً سفاكاً للدماء[٩٣].

وعلى الرغم من ثناء ابن إياس (ت٩٣٠هـ) ، عليه لكنه ذكر إقدامه على تصفية الخصوم السياسيين بلا رحمه[٩٤]. ويبدو من خلال هذه النصوص أن العيني كان مجاف للحقيقة أوقف قلمه على مدح سيده علماً أن كلاً من ابن تغري بردي وابن إياس من المؤرخين الذين ينتمون إلى طبقة المماليك ذاتها التي ينتمي إليها السلطان ططر لكنهما أشارا إلى سلبياته .

خلسا : علميةططر .

أشار العيني إلى الجانب العلمي الذي تميز به ططر حسب رأيه ، وجاء ذلك في خطبة كتابه ، إذ جعل لذلك العلم صفة القداسة بوصفه مستمداً من الله تعالى اذ قال في هذا المجال : ((...وأنار –أي الله عز وجل– شعائر الإسلام بعلمه الزاهر... وزينه بحلم وعلم وعدل وفضل غازر...))[٩٥].

ولم يشر المقريزي المؤرخ المصري المعاصر للسلطان وكاتب سيرته العيني إلى هذه الناحية من حياة ططر أدنى إشارة ، وجاء عند ابن حجر العسقلاني ما يشير إلى تقريبه لأهل العلم دون أن يذكر أن ططرا كان من بينهم إذ قال : ((وكان يحب العلماء ويعظمهم))[٩٦] ، أما بن تغري بردي الذي توفى بعد ططر بستة عقود فذكر في ترجمته انه كان ((يذاكر في الفقه ويشارك فيه))[٩٧] ، إي ليس عالماً بها كما هو الحال عند العيني ، كما أشار إلى براعته في حفظ الشعر التركي ومعرفته وليس نظمه[٩٨].

أما ابن إياس فقد أورد جملة مقتبسة في معناها مما ذكره عنه ابن تغري بردي ، حيث قال : ((وكان له اشتغال في العلم))[٩٩].

سادسا : تولي ططر ست السلطنة المملوكية

سنوضح في السطور القادمة ما أورده العيني من آراء حول كيفية تسنم ططر للحكم ومحاولته إضفاء طابع القداسة على سلطته مع البحث عن حقيقية ذلك الأمر في المصادر الأخرى .

ففي كتابه موضوع الدراسة أكد العيني أن صعود ططر إلى العرش لم يكن أمراً عادياً إنما جاء وفقاً للاختيار الإلهي كما يفهم ذلك في عدة مواضع من كتابه المذكور، إذ قال في مقدمته : ((الحمد لله الذي أيد الإسلام بعدله الظاهر، وأيد عبيده المسلمين بعبده الظاهر– أي السلطان الظاهر ططر– وأظهره على كل مارق وفاجر، ومكنه من كل ما رد وغادر...)) [١٠٠].

ونقرأ في هذه السطور أن المؤرخ أوقف مقدمة كتابه لتوضيح مكانة ططر المزعومة، ومن ذلك انه عد تسنمه للسلطة إنما كان تأيداً من الله تعالى لعبيده–أي الرعية التي سيحكمها ذلك السلطان– كما دعاه من الله تعالى أن ينصره على أعدائه ، وهم هنا ليسوا الغزاة أو المحتلين ، بل الأمراء والمماليك المنافسين له على السلطة– كما سنشير إلى ذلك لاحقاً .

وفي تعبير آخر أوضح العيني رأيه الشخصي في الاختيار الإلهي لحكم ططر حيث قال ((...فسبحان من منَّ على عباده من فضله المتكاثر، وبهذا الملك الذي عينه رحمة للبادي والحاضر...)) [١٠١].

وسنلاحظ أن هذه الآراء إنما كانت تزلفاً من العيني للحاكم ، وتلفيقاً تدحضه الوقائع والأدلة التاريخية التي جرت على أرض الواقع ، فقد خطط ططر بعد وفاة السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٤هـ ، بغية الاستيلاء على الحكم ، متخذاً في سبيل ذلك إجراءات عدة ، فأول ما فعله إصدار الأوامر بإلقاء القبض على احد مشاهير الأمراء وهو قجقار القردمي الذي عينه المؤيد وصياً على ابنه المظفر إلى جانب ططر[١٠٢] ، فانفرد بتدبير الدولة فارتجف الناس وكثر خوفهم[١٠٣] . ثم قبض على

اثنين من كبار الأمراء وهم رأس نوبة النوب . المسمى جلبان والأمير شاهين الفارسي[١٠٤].

وحينما ذهب ططر سنة٨٢٤هـ إلى دمشق بمعية السلطان المظفر ابن المؤيد والخليفة العباسي والعساكر والقضاة ، استقبله أتابك العساكر الطنبغا القرمشي ، لكنه سرعان ما اعتقله وأمر بقتله فأعيب عليه ذلك[١٠٥]. وفي ذات اليوم قتل ططر الوزير بدر الدين محمد بن محب الدين الطرابلسي[١٠٦] . وحينما دخل حلب أمر بشنق أمير التركمان هناك كردي بك بن كندر[١٠٧]. ثم عزل نائب دمشق ونائب حلب[١٠٨].

ثم غدر بكبار الأمراء المماليك بدمشق حينما ذهبوا إلى قلعة دمشق للقائه والسلام عليه، إذ أمر بالقضاء عليهم[١٠٩].مستكملاً بذلك جميع الخطوات الممهدة لتولي الحكم ، ثم ختم تلك الإجراءات حينما قام في ٢٩ شعبان سنة ٨٢٤هـ بخلع السلطان المظفر[١١٠]. فأين هذا مما ذكره العيني عن توليه الحكم بالوجه الشرعي وعن استحقاق ؟.

وقد أوجز المؤرخ الظاهري سياسية ططر تلك بالقول : ((لما قبض على من كان بغيضاً له من الأمراء ، وخلا له الجو طلب الخليفة والقضاة المصريين والشاميين، فحضروا له بقلعة دمشق ، وخلع المظفر واحتج بصغره وضياع الأمور، ثم بويع بالسلطنة ولقب بالظاهر))[١١١].ثم توج استيلاءه على السلطة بالزواج من أرملة السلطان المؤيد شيخ سعادات خاتون ابنة سودون الشركسي[١١٢]. ويبرر العيني استيلاء سيده على الحكم بإلحاح الخليفة والقضاة والعلماء عليه للقبول بالمنصب فأجابهم إلى ذلك[١١٣].

ومن أجل تأكيد استحقاق ططر لمنصب السلطنة ، أورد العيني عشرة شروط اوجب توفرها فيمن يتولى ذلك المنصب ، وقال أنها جميعاً توفرت في شخص سيده ، وتلك الشروط هي : الرجولة ، العقل ، الشجاعة ، الخبرة بأحوال الناس ، المعرفة بالعلوم الشرعية ، العدالة ، تفقد أحوال الرعية ، السخاء واجتناب المعاصي[١١٤]. ثم

علق بعد ذلك بما نصه ((فهذه الشروط كلها موجودة في مولانا السلطان ، لا ينكر و لا يخفى ، فلذلك استحق هذا المنصب الشريف ، بل وجب تعينه لذلك...))[١١٥].

ثم أكد أن ططر استحق السلطنة من وجوه أخرى ، هي انه في الأربعين من عمره، وأعقل من تتوفر فيه شروط السلطنة ، ولكونه فارساً[١١٦]. وكأن الدولة المملوكية خلت من رجال تمثل هذه المواصفات .

ثم ذكر انه عارف بأحوال الناس في الديار المصرية والشامية والحلبية من عربها وعجمها وتركها وتركمانها وأهل ريفها ، بل وله معرفة بغير هؤلاء من أهل الشرق والغرب وأهل الروم[١١٧] . أي أن العيني جعل من سيده مؤرخاً وعالماً اجتماعياً يعرف كل هذه الشعوب والأجناس علماً ان ططرا تم جلبه عن طريق الشراء كمملوك صغير السن من بلاد الشركس ولم يكن له اتصال مباشر بالغرب أو بلاد الروم ، محاولاً من خلال ذلك اختلاق صفات لا وجود لها في شخصية ططر لتبرير استيلائه على السلطنة بطريقة انقلابية وفقاً للمصطلح السياسي الحديث.

وعند مقارنة ما أورده العيني أعلاه مع ما جاء من أخبار ططر عند مؤرخين آخرين نجد ما يخالف آراءه ويدحضها ، فقد أكد المقريزي في ترجمته لذلك السلطان : ((وكان شديد التعصب لمذهب الحنفية))[١١٨] . وفي نص مقارب لنص المقريزي ذكر تلميذ العيني المؤرخ ابن تغري بردي أن ططر ((كان يميل إلى أبناء جنسه الجراكسة في الباطن دون غيرهم من الأجناس))[١١٩]. فأين العدالة التي ذكرها العيني.

وفي تشخيص لسياسة السلطان ططر المالية خلال مدة حكمه القصيرة ، قال انه ((أتلف في مدته مع قلتها أموالاً عظيمة وحمل الدولة كلفاً كثيرة ، أتعب بها من بعده))[١٢٠]. وجاء عند مؤرخ آخر انه ((اذهب جميع ما تركه المؤيد –إي السلطان الذي سبقه– من الأموال الجزيلة في مدة قليلة ، حتى لم يبق في الخزانة بعد موته سوى ستين إلف دينار))[١٢١] . إي انه أصاب خزينة الدولة بعجز مالي نتيجة لإسرافه وتبذيره ، فهل هذا هو السخاء الذي يتحدث عنه العيني؟! .

ثم راح المؤرخ يصف ابتهاج الناس واحتفالهم بسلطنة ططر بقوله : ((...فعند ذاك ارتفعت الدعوات ، وضجت الأصوات من كل الجهات ، فكان الناس حينئذ كالحجيج تلبي في عرفات ، شكر لما بعث الله تعالى إليهم بملك ينظر فيهم بالعدل والإنصاف ويرفع من بينهم الظلم والإعتساف ، وتباشروا على هذا الخير العظيم ، فأصبحوا وهم شاكرون بالفرح والسرور... وسكبوا في ذلك اليوم عبرات الفرح ، لما اذهب الله عنهم الهم والترح ، ودعوا الله تعالى بطول البقاء لهذا الملك وطول مدته ...))[١٢٢].

ونلحظ المبالغة الواضحة في تصوير المؤرخ لحالة الناس عند سماعهم خبر سلطنة ططر، فالناس لاسيما في عصر المماليك توالت عليهم الكوارث الطبيعية من مجاعات وأوبئة وغلاء الأسعار، فضلاً عن تأثرهم بالحروب الداخلية بين المماليك أنفسهم ، فلم يكونوا بصدد الاهتمام بهذا الأمر بقدر اهتمامهم بتسيير شؤون حياتهم الـ معيشية ، وللتدليل على ذلك يمكن مراجعة ما كتبه المقريزي سواء أكان في كتابه السلوك أم في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة الذي خصصه للحديث عن المجاعات التي أصابت مصر في عصره ، وهو معاصر للعيني وسيده ططر.

كما يلاحظ من هذا النص أو غيره من النصوص الواردة في تضاعيف هذا الكتاب محاولة العيني إضفاء الصبغة الدينية على هذا الخبر، من خلال استعمال أسلوب يستهوي به قلوب القراء ، فضلاً عن قلب سيده ، فتم تشبيه احتفال الناس عند سماعهم نبأ تسلطنه بتلبية الحجاج يوم عرفة ، واستخدامه لفظ الجلالة عدة مرات يدل على محاولة إضفاء الطابع الديني لكسب مشاعر الناس.

ونسجل عليه ادعاءه أن الناس كرروا عليه دعوتهم له لتولي زمام السلطنة إذ انفرد هو بهذا الخبر.

وفي ختام حديثه عن خبر سلطنة ططر تمنى العيني أمنية لم تتحقق، إذ رأى أن انعقاد السلطنة له في دمشق مبعث تفاؤل وذلك لان الخلافة الأموية انعقدت لمعاوية بن أبي سفيان في المدينة ذاتها ، مستمراً فيها عشرون سنة بعد أن حكم أميراً عشرين

سنة أيضاً، ثم علق بقوله : فنرجو من الله تعالى أن توليته –أي ططر– مثل توليه معاوية في طول المدة واتساع النفوذ على سائر البلاد[١٢٣].

ثم يعود مرة أخرى للاعتماد على أهل الحساب والمنجمين إذ يقول أنهم اجمعوا على أن ططراً تولى السلطة في ساعة تدل على طول حكمه مع عافية وامن وسرور[١٢٤]. في حين اجمع المؤرخون أن حكم ططر لم يستمر سوى أربع وتسعين يوماً[١٢٥]. واختلفوا في سبب موته فمنهم من ذكر انه أصيب في علة ببطنه لارتدائه درعا حديدياً خوفاً من الاغتيال[١٢٦]، ومنهم من أشار أن أرملة السلطان المؤيد الذي تزوجها ططر فيما بعد قامت بدس السم له بمنديل أعطته إياه بعد الجماع بسبب خلعه ابنهما المظفر عن دست الحكم[١٢٧]. لذا وخلافاً لما تمناه العيني وأراده ، فان عهد ططر لم يطل ، بل كان من اقصر سلاطين المماليك من حيث مدة الحكم، كما انه لم يكن آمناً بدليل ارتدائه الدرع على الدوام ، ثم انه لم يكن معافى ، بل مرض ومات سواء أكان ذلك بسبب السم أم على اثر لبسه ذلك الدرع .

وقد فسر العيني حدث توليه للسلطنة في دمشق تفسيراً آخر، إذ أكد انه لا يوجد سلطان تولى السلطة وهو في تلك المدينة قبل ططر ، معللا ذلك بأن الله تعالى أراد له الخير والبركة وطول مدة الحكم [١٢٨]. وقد أكدت الوقائع التي حصلت بعد تصنيف العيني كتابه المذكور خلاف ذلك .

سابعا : الدفاع عنططر ضد منفسيه.

ودافع العيني عن سيده ططر أذا أكد أن من انحرف عن سلطنته فهو قليل الدين بل عديمه[١٢٩]. وهكذا اخرج العيني كل من خرج عن طاعة سيده من الإسلام ، إذ جعله بلا دين وذكر أن أحد أسباب استحقاق ططر للسلطنة انه صاحب ذوق في الأمور كلها[١٣٠]. وكذلك انفراده لهذا المنصب لعدم وجود من يدانيه أو يقاربه له[١٣١]. أي انه أعطى حكماً قطعياً ومطلقاً في الصفتين الأخيرتين ولاسيما الأخيرة إذ يرى أن الدولة المملوكية لا يوجد فيها من يستحق السلطنة سوى ططر، ولا نعلم على

ماذا استند العيني في حكمه ؟ هذا وكيف عرف جميع الأمراء المماليك في مصر والشام وصفاتهم ؟ ولاسيما معرفتهم بالإدارة والسياسية .

وأشار وهو يفصل في الشروط الواجب توفرها في الأشخاص الذين يعنيهم السلطان أو الحاكم في المناصب الإدارية والسياسية والعسكرية، فقال : عليه أن ((لا يولي أحداً وظيفة وفي مملكته من هو أفضل منه فانه ورد في الحديث انه من فعل ذلك فقد خان الله ورسوله ، ومن المقال الموجبة لزوال الملك استعمال الأراذل في الأعمال الجليلة ومنعها الأفاضل[١٣٢].في حين نجد أن ابن تغري بردي يذكر أن السلطان ططر عزل كمال الدين محمد بن البارزي عن نظارة الجيش وأسندها لزين الدين عبد الباسط، فعلق هذا المؤرخ على هذا القرار بقوله : ((فمن حينئذ أعطي القوس لغير راميه))[١٣٣].

ثامنا : استخدام الأرقام في مدح السلطان.

ومثلما استعمل العيني حروف اسم السلطان ططر في مدحه وتبجيله ومحاولة تحليلها وتفكيكها بما يرفع من مكانته ، نجده يستعمل الأرقام لذات الغرض ، إذ أشار في كتابه موضوع الدراسة ، أن كون السلطان الظاهر ططر في المرتبة العاشرة في تسلسل السلاطين المماليك الذين جلبوا إلى مصر ، فان ذلك يدل على قوته في ذاته وقوته غب رعيته وعلل ذلك بان مرتبة العشرات اعدل مراتب الأعداد، لان ما بعدها مبني عليها مثلما هي أيضاً غاية للآحاد من الأعداد[١٣٤] . وقد اخترع العيني هذا التسلسل ، إذ أن المشهور بين مؤرخي العصر المملوكي ان ططرا يقع في التسلسل الثلاثين بين سلاطين المماليك – كما أشرنا إلى ذلك سابقا – ولا يوجد مؤرخ آخر ينسج على منواله في هذا الاختراع .

وفي تفسير سطحي وساذج جعل رقم عشرة أفضل من غيره من الأرقام ، فالعشرة كما يرى تغلب التسعة والثمانية ، فهو حسب رأيه ملك يغلب من سبقه من السلاطين بالسيرة الحسنة والعدل والإنصاف والإحسان إلى الناس[١٣٥].

ولا نعلم كيف لإنسان متعلم كالعيني ولسلطان عد من المهتمين بالعلوم كالظاهر ططر أن يقبل بمثل هذا التفسير ، إذ جعل العيني الرقم عشرة وكأنه وضع من أجل سيده وبانتظار أن يأتي للعمل بالمرتبة العاشرة بين السلاطين .

ونحن إذ ننقل ما كتبه هذا المؤلف في هذا الجانب ، ونقتبس هذه العبارات والآراء إنما نوضح للقارئ كم كان العيني نفعياً ومنحازاً كل الانحياز إلى سيده السلطان، محاولاً لي أعناق النصوص والكلمات، مخترعاً القواعد العددية والهجائية لغاياته الشخصية، معتمداً على أهل الحساب والتنجيم الذين لم يسمهم وهو الفقيه المعروف وقاضي القضاة وعلى علم ودراية تامة بنهي الشريعة عن التنجيم ، وكل ذلك بهدف تلميع صورة ططر، هادفاً إلى التقرب منه والتزلف إليه بغية الحصول على مكاسب دنيوية ، وهذا كله جاء على حساب الحقيقة التاريخية التي كان عليه الالتزام بها .

تاسعا : اعتماد التنجيم لإعلاء مكانةططر.

على الرغم من أن بدر الدين العيني نقد زميله المؤرخ المصري الشهير تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، بقوله عنه انه كان ((يضرب الرمل))[١٣٦] . فحسبه ، على المنجمين والمتنبئين الذين يدعون معرفة المستقبل ، وعلى الرغم من أنه حذر من كتب التنجيم وعد مؤلفيها زنادقة [١٣٧]، ولكن العيني نفسه استخدم أقوال المنجمين من اجل رفع شأن سيده السلطان ططر ومدح مسبقاً ما سيكون عليه عهده ، نقرأ ذلك في قوله((وذكر بعض أهل الحساب – أي المنجمون– أن السلطة بالديار المصرية تختم بالعاشر من الذين ملكون الترك ويكون في أيامه عدل ظاهر وإقامة للشريعة وينقطع عسف الظلمة وسعي المفسدين ويسند باب الرشوة والبرطيل و يأمن الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى أموالهم وترخص الأسعار وتظهر البركة في الأرزاق ويكثر الخير والبر ويتيسر تحصيل الدراهم والدنانير وتعتدل أحوال الطرقات ، بهذه بشارة عظيمة لمولانا السلطان –ويقصد سيده ططر– حيث تظهر هذه الخيرات في أيامه ، فان هذه الأشياء ما وقعت إلا في أيام خليفة راشد أو سلطان عادل...))[١٣٨].

وهكذا جعل المؤلف ما سيكون عليه حكم ططر في قادم الأيام حياة لا تتوفر إلا في المدينة الفاضلة الخيالية ، وكل ذلك بالاعتماد على المنجمين الذين يكذبون وان صدقوا، ولم يكن ذلك في واقع الأمر سوى تمنيات شخصية للعيني لم تجد النور، مما يؤكد انه أم يترك وسيلة إلا استخدمها لصالح سيده ، إذ لم تتحقق هذه البشارة ولا تلك الآمال ، فلم يستمر عهده سوى ثلاثة أشهر ، كما أن السلطنة لم تنته بعهده ، بل استمرت بعده قرن من زمان ، إذ انتهت سنة ٩٢٣هـ على أيدي العثمانيين .

وذكر العيني في موضع آخر ما سيكون عليه سيده معتمدا علا العرافة ومحاولة قراءة المستقبل مرتكزا في ذلك على تفكيك حروف اسم ططر ، فأشار إلى أنه سيكون في أول عمره فقيرا ، ثم يثري ثراء فاحشا بلا تعب ولا ارث ولا سعي [١٣٩] . ولعله كان مصيبا في ذلك ، لان معظم سلاطين المماليك استولوا على أموال البلاد مستخدمين وسائل شتى ، فلماذا لا يصبحون أثرياء ؟ .

ونرى أن المؤرخ حاول اللجوء إلى التفسير الديني والتنجيم وإبداء الأماني ، بل حتى التنبؤات التي فبركها لصالح سيده ، ولكن كل ذلك ذهب أدارج الرياح ، إذ لم يدم حكم ططر وبذلك ذهبت أماني وأهداف العني في الحصول على المكاسب الشخصية و لم تحقق لقاء تسجيله لهذه السيرة الملفقة . ويتضح مما أوردناه الفرق بين ما ذكره العيني وما جاء عند مؤرخين مصريين آخرين عاصروا العيني أو كانوا قريبين منه .

الخاتمة .

بعد دراسة كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، لمؤلفه العيني المصري الحنفي (ت٨٥٥هـ) يمكن تسجيل الملاحظات الآتية .

١- إن الكتاب لم يكن كتاباً تاريخياً صريحاً كما انه لم يوقفه على سيرة ذلك السلطان الحقيقية وإنما دون فيه مجموعة من ايجابيات ططر وكان أكثرها من اختراع المؤلف ذاته.

٢- ان عنوان الكتاب ينطبق على محتواه إلى حد بعيد ، إذ أن عبارة الروض الزاهر تفسر لنا ما جاء في صفحات الكتاب من مديح مفرط دون أدنى إشارة إلى قدح السلطان ططر.

٣- إن المؤرخ ألف كتابه على عجل في الأيام الأولى لسلطنة صديقه القديم ططر متعجلاً الحصول على المكاسب إدارية وقد أشار هو إلى ذلك بنسفه.

٤- إن هذا الكتاب لم يكن الوحيد في بابه بين مؤلفات العيني ، إذ ألف سيرة للسلطان المؤيد شيخ وأخرى للسلطان الأشرف بيبرس وهؤلاء الثلاثة قربوا العيني ومنحوه المناصب والهبات.

٥- إن عنوان الكتاب، لم يكن من بنات أفكار العيني، بل استخدمه مؤرخ مصري آخر سبقه بعقود هو المؤرخ ابن عبد ظاهر ت٦٩٢هـ، والذي ألف كتاب بذات العنوان عن السلطان الظاهر بيبرس مما يعني أن العيني قلده في ذلك.

٦- استخدم العيني شتى الأساليب من اجل إخراج السلطان في نظر القراء في أبهى صورة ، ولكنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً لان الأسلوب الإنشائي غير الموضوعي المعتمد في الكتاب اضر بسمعة العيني كمؤرخ ولم يضف إليه شيئاً البتة.

٧- لم يلتزم المؤرخ العيني بأبسط الشروط المطلوب توفرها عند المؤرخين ، وأهمها الوقوف على الحياد وعدم الانحياز لشخص أو فئة أو قومية، فنجده مال كل الميل إلى الظاهر ططر ، مجانباً الصواب ومجافياً للحقائق.

٨- أعطى العيني أحكاماً قطعية على ما سيكون عليه عهد سيده ططر من قوة وازدهار وطول مدة، وكل ذلك لم يتحقق لأنه مات بعد ثلاثة أشهر من تسلطنه فذهبت آمال العيني في الحصول على المكاسب الشخصية أدراج الرياح.

وأخيراً يمكن القول أن مثل هذه المؤلفات التي خلفتها أقلام المؤرخين المتزلفين تؤدي الى نتائج سلبية على المجتمع الذي تعيش فيه من خلال الترويج لأقطاب السلطة وتحسين أفعالهم مهما كان طابعها ، كما تؤدي الى وصول غير الأكفاء لسدة الحكم ، فضلا عن أن تلك تلك الشخصيات المتملقة ، يمكن لها أن تتلون بلون آخر وتلبس ثوباً جديداً ، أذا ما تغير المشهد السياسي ، وخير مثال على ذلك موقف العيني المتحول ففي عهد المؤيد شيخ كان معه وألف له سيرة، ثم ما لبث أن انقلب بعد وفاته وعاضد السلطان الجديد ططر الذي حنث بقسمه للسلطان المؤيد حينما جعله وصياً على ابنه الصغير السلطان المظفر وقد كتب له سيرة أيضاً ، وحينما مات ططر ، مال إلى الأشرف بيبرس الذي انقلب على ابن ططر رغم تعهده وقسمه لأبيه بحماية عرش ابنه وكتب العيني لهذا السلطان سيرة أيضاً ، سيرة لا تتوفر فيها أدنى شروط الكتابة التاريخية، إذ لم يكن محايداً بل منحازاً بالكامل لصالح السلطان ، حتى جاء كتابه الروض الزاهر ، عبارة عن عبارات من التمجيد والإجلال لحاكم اختلف المؤرخون حول تقييم عهده القصير، مختلقاً أسباب وذرائع هدفها رفع شأن ذلك السلطان وضرب منافسيه ووصفهم بأعداء الدين.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما يبتدأ به القرآن الكريم

– ابن إياس ، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ)

١– بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٦٤).

–البغدادي ، إسماعيل باشا

٢– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ط٢ ، المكتبة الإسلامية (طهران ١٩٤٧) .

–ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ)

٣– حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق وليم بوبر ، (كاليفورنيا ، ١٩٣٠)

٤– الدليل الشافي على المنهل الصافي ، محمد فهيم محمد ، مكتبة الخانجي (القاهرة ، ١٩٨٤) .

٥– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ١٩٩٠) .

٦– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٢٧) .

–الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)

٧– مناقب الترك ، مطبعة التقدم ٠ القاهرة ، القاهرة ١٣٢٤هـ) –حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (١٠٦٧هـ)

٨– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٢).

–ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)

٩– إنباء الغمر بأنباء العمر ، ط٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٦٨هـ) .

–السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)
١٠– الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنتال ، ترجمة صالح أحمد العلي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) .
١١–التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة ، د . ت) .
١٢– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، د ، ت) .–السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)
١٣– بغية الوعاة ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٤) .
١٤ – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٦٧) .
١٥ – نظم العقيان في أعيان الأعيان ، المكتبة العلمية (بيروت ، ١٩٢٧) .
–الظاهري ، خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ)
١٦– زبدة كشف الممالك ، تصحيح بولص راويس ، المطبعة الجمهورية (باريس ، ١٨٩٤) .
–الظاهري ، عبد الباسط بن خليل بن شاهين (٩٢٠هـ) .
١٧ – نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية (بيروت ، ٢٠٠٢) .
–الصيرفي ، علي بن داود (ت ٩٣٠ هـ)
١٨– نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب (القاهرة ، ١٩٧١) .–ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي (١٠٨٩ هـ) .
١٩ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط١ ، دار ابن كثير (بيروت ١٩٩٣) .
–العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)

٢٠ – الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر ، تحقيق هانس أرنست ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٦٢) .
–القلقشندي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
٢١– صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق عبد القادر زكار (دمشق ، ١٩٨١).–محمود ، محمود رزق
٢٢– مقدمة تحقيق كتاب عقد الجمان للعيني ، دار الكتب والوثائق القومية ، (القاهرة ، ٢٠١٠) .–المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ)
٢٣–التنبيه والإشراف ، دار صادر (بيروت ، د . ت) .
المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥ هـ)
٢٤ – درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢ .
٢٥ – السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ٢٠٠٧) .
٢٦– المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية (١٩٩٨) .

الهوامش

(١)

(٢) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص٧٢١؛ المنهل الصافي، ج١١، ص١٩٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١

(٣) المنهل الصافي، ج١١، ص١٩٣، ينظر أيضاً السيوطي ، نظم العقيان ، ص١٧٤.

(٤) المقريزي ، درر العقود ، ص١٦٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٦٧

(٦) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج١١ ،ص١٩٤.

(٧) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٩٣

(٨) المقريزي ، درر العقود ، ص٤٦٨.

(٩) تنظر مؤلفاته ، ص ٧ من هذه الدراسة.

(١٠) ابن تغري بري، المنهل الصافي، ج١١ /ص١٩٤.

(١١) المصدر نفسه، ج١١/ص١٩٤.

(١٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي ،ج١١/ص١٩٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان،ج٢/ص٤٧٣.

(١٣) الروض الزاهر، ص١

(١٤) المصدر نفسه ، ص٢٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص١.

(١٦) المقريزي ، السلوك ،ج٢/ص٨٢٠.

(١٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي ،ج١١/ص١٩٥

(١٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٢٨٧.

(١٩) محمد محمد أمين ، مقدمة تحقيق كتاب عقد الجمان للعيني ،ج١/ص١٣.

(٢٠) الإعلان بالتوبيخ ، ص١٢٣.

(٢١) المصدر نفسه ، ص١٢١.

(٢٢) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٣٧٧؛ الذيل على رفع الإصر، ص٤٣٢.

(٢٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١١، ص١٩٦.

([٢٤]) السخاوي، التبر المسبوك، ٣٧٩؛ الضوء اللامع، ج١٠،ص١٣٤، ١٣٥؛السيوطي ، بغية الوعاة ،ج٢، ص٢٧٥.

([٢٥]) المنهل الصافي ، ج١١،ص ١٩٧.

([٢٦]) كشف الظنون، ج٢،ص١٣١٦-

([٢٧]) السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٢٨٠ ؛ حسن المحاضرة،ج١، ص٤٧٤، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١١،ص١٩٦

([٢٨]) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج٦، ص٣٩٧؛ النجوم الزاهر، ج١٤، ص١٩٨.

([٢٩]) امير طبلخاناه : هو من الطبقة الثانية من بين الأمراء المماليك ، وله الأمر على أربعين فارسا وقد يزيد على ذلك ، محمد ، أسماء ومسميات ، ص١٤٦.

([٣٠]) رأس نوبة النوب : لقب يطلق على من يتولى شؤون مماليك السلطان وتنفيذ أوامره بهم ، والمراد بالرأس هنا الأعلى ومعنى نوبة النوب ، أي مرة بعد أخرى . القلقشندي ، صبح الأعشى ج٥/ ص٢٧٤

([٣١]) أمير مجلس : لقب للأمير الذي يتولى أمرة مجلس السلطان ، ويشرف أيضاً على الأطباء والكحالين . المصدر نفسه ،ج٥ /ص٤٢٨.

([٣٢]) أمير مائة ومقدم ألف : هو الأمير الذي يقود مائة فارس أثناء الحرب ومن هذه الفئة يختار السلطان أصحاب المناصب العليا مثل نائب السلطنة وأتابك العساكر وأمير سلاح . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٣/ص٣٥٠.

([٣٣]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٣٩٧.

([٣٤])المصدر نفسه، ج٦، ص٣٩٨؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٢،ص٧٠

([٣٥]) شذرات الذهب، ج٩، ص٢٤٢.

([٣٦]) المقريزي، السلوك ،ج٤، ص٥٨٤.

([٣٧]) المصدر نفسه ، ج٤، ص٥٨٤.

([٣٨]) بدائع الزهور ، ج٢، ص٧٢.

([٣٩]) السلوك ، ج٤، ص٥٨٩.

([٤٠]) المنهل الصافي ، ج١١، ص٤٠٤.

([٤١]) بدائع الزهور ، ج٢، ص٧٥.

([٤٢]) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٧٥.

([٤٣]) الروض الزاهر ، ص٢.

([٤٤])حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج١/ص٩١٩، البغدادي ، هدية العارفين ، ج١/ص٤٦٣.

([٤٥]) الروض الزاهر، ص١-٢.

([٤٦]) المصدر نفسه ، ص٢.

([٤٧]) الروض الزاهر ، ص١

([٤٨]) تنظر ص٥ من هذه الدراسة .

([٤٩]) الروض الزاهر، ص٢.

([٥٠]) الروض الزاهر ، ص٢

([٥١]) المصدر نفسه ، ص٣٥،٣٣.

([٥٢]) المصدر نفسه ، ص٢٢.

([٥٣]) المصدر نفسه ، ص

([٥٤]) المصدر نفسه ، ص٣٤.

([٥٥]) المصدر نفسه ، ص٣٣.

([٥٦]) المصدر نفسه ، ص٢٨.

([٥٧]) المصدر نفسه ، ٢٥.

([٥٨]) المصدر نفسه ، ص٣٢.

([٥٩]) المصدر نفسه ، ص٢٤.

([٦٠]) المصدر نفسه ، ص٢٧.

([٦١]) المصدر نفسه، ص٣٧.

([٦٢]) المصدر نفسه ، ص٨.

([٦٣]) المصدر نفسه ، ص١١.

([٦٤]) المصدر نفسه ، ص٨.

([٦٥]) المصدر نفسه ، ص١٧.

([٦٦]) المصدر نفسه ، ص٢٤

([٦٧]) المصدر نفسه ، ص٢٥.

([٦٨]) المصدر نفسه ، ص١٨.

([٦٩]) المصدر نفسه ، ص٣٥.

([٧٠]) المصدر نفسه ، ص٢٨، ص٣٢، ص٣٧.

([٧١]) المصدر نفسه ، ص،٣٢.

([٧٢]) الروض الزاهر ، ص٥.

([٧٣]) الروض الزاهر ، ص٥.

([٧٤]) مناقب الترك ،ص١٥٣.

([٧٥]) الروض الزاهر، ص٦.

([٧٦]) الروض الزاهر ، ص٦.

([٧٧]) المصدر نفسه ، ص٧.

([٧٨]) الروض الزاهر ، ص٧.

([٧٩]) المصدر نفسه ، ص٨.

([٨٠]) المصدر نفسه ، ص١٠.

([٨١]) المصدر نفسه ، ص١٠

([٨٢]) الروض الزاهر ، ص١٣.

([٨٣]) المصدر نفسه، ص١٥.

([٨٤]) سورة التوبة / اية ٣٣.

([٨٥]) الروض الزاهر ، ص١٦.

([٨٦]) الروض الزاهر ، ص١٣

([٨٧]) المصدر نفسه ، ص١٣

([٨٨]) المصدر نفسه ، ص١٥.

([٨٩]) المصدر نفسه ، ص١٤-١٥.

([٩٠]) الروض الزاهر ، ٣٨.

([٩١]) المصدر نفسه ، ص٢٢.

([٩٢]) السلوك، ج٤، ص٥٨٩.
([٩٣]) المنهل الصافي ، ج٦، ص٤٠٤.
([٩٤]) بدائع الزهور، ج٢، ص٧٠-٧١.
([٩٥]) الروض الزاهر، ص١
([٩٦]) انباء الغمر ، ج٧/ ص٤٣٩.
([٩٧]) المنهل الصافي، ج٦/ ص٤٠٤.
([٩٨]) المصدر نفسه،ج٦ /ص٤٠٤.
([٩٩]) بدائع الزهور ،ج٢ /ص٧٥.
([١٠٠]) الروض الزاهر ، ص١
([١٠١]) الروض الزاهر ، ص١
([١٠٢]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي ،ج٣٩٨/٦.
([١٠٣]) ابن حجر ، إنباء الغمر ،ج٣/ ٢٣٧؛ عبد الباسط الظاهري، ج٤/ ص٧٧.
([١٠٤]) عبد الباسط الظاهري، ج٤/ ص٧٧.
([١٠٥]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج١٨٩/٤؛ عبد الباسط الظاهري، ج٩١/٤.
([١٠٦]) المقريزي، السلوك ،ج٤/ص٥٩٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ،ص٥٢٢.
([١٠٧]) السخاوي، الضوء اللامع ،ج٦ /ص٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور/ج٢/ ص٩٩.
([١٠٨]) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٦، ص٤٠١.
([١٠٩]) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ،ج٦/ص٤٠١.
([١١٠]) المصدر نفسه ، ج٦/ص٤٠٢.
([١١١]) نيل الأمل،ج٤/ص٩٤.
([١١٢]) المصدر نفسه،ج٤/ص٩٤-٩٥.
([١١٣]) الروض الزاهر ، ص٣٨.
([١١٤]) المصدر نفسه ، ص١٩.
([١١٥]) المصدر نفسه ، ص١٩.
([١١٦]) الروض الزاهر ، ص١٩.

([١١٧]) المصدر نفسه ، ص١٩-٢٠.

([١١٨]) السلوك ، ج٤/ص٥٨٩؛ ينظر أيضاً ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢/ص٧٥.

([١١٩]) المنهل الصافي ،ج٦/ ص٤٠٤.

([١٢٠]) المصدر نفسه ،ج٦ /ص٤٠٤.

([١٢١]) عبد الباسط الظاهري، ج٤/ص١٠٠.

([١٢٢]) الروض الزاهر ، ص٣٩.

([١٢٣]) الروض الزاهر، ص٣٩.

([١٢٤]) المصدر نفسه ، ص٣٩.

([١٢٥]) المقريزي، السلوك ، ج٤/ص٥٨٩؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٦/ ص٤٠٤؛ ابن إياس ، بدائع الزهور،ج٢/ص٧٥.

([١٢٦]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٤/ ص١٦٩ .

([١٢٧]) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ص٧٣.

([١٢٨]) الروض الزاهر ، ص٣٩

([١٢٩])المصدر نفسه ، ص٢٠.

([١٣٠]) المصدر نفسه ، ص٢١.

([١٣١]) المصدر نفسه ، ص٢١.

([١٣٢]) المصدر نفسه ، ص٣١.

([١٣٣]) المنهل الصافي ، ج٦/ص٤٠٣.

([١٣٤]) الروض الزاهر ، ص١٨.

([١٣٥]) المصدر نفسه ، ص١٨.

([١٣٦]) ينظر السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢/ص٢٤

([١٣٧]) الروض الزاهر ، ص٣٢.

([١٣٨]) المصدر نفسه ١٧.

([١٣٩]) الروض الزاهر ، ص٩.